الإمام الصادق (ع) وتأسيس المذهب الجعفري

<"xml encoding="UTF-8?>

الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام، وإليه يُنسب الإمامية فيقال: المذهب الجعفري للدلالة على مذهب أهل البيت عليهم السلام حيث سنحت الفرصة للإمام الصادق عليه السلام في نشر عقائد وفقه أهل البيت بصورة كبيرة بما لم تتح لغيره من الأئمة عليهم السلام بنفس القوة والانتشار، ويعود السبب إلى تزامن إمامته عليه السلام مع نهاية الدولة الأموية وسقوطها، وقيام الدولة العباسية، إذ تسلم الإمام الصادق عليه السلام شؤون الإمامة عام 114هـ، وسقطت الدولة الأموية عام 132هـ، وهذه الفترة كانت تتميز بالهدوء والحرية النسبية للإمام الصادق عليه السلام، حيث كانت الدولة الأموية في نهاياتها مشغولة بمواجهة الثورات والانتفاضات التي كانت مشتعلة في أكثر من مكان من بلاد الإسلام، وعندما قامت الدولة العباسية كانت بحاجة إلى وقت لتثبيت حكمها، وتشييد أركان نظامها، مما أتاح للإمام الصادق عليه السلام نشر مذهب أهل البيت بين الناس، فقد عاصر الإمام الصادق عليه السلام شيخوخة الدولة الأموية وطفولة الدولة العباسية، وهي فترة اتسمت بالضعف في مفاصل الدولة مما ساعد الإمام جعفر الصادق على نشر فقه أهل البيت.

وبالإضافة لما سبق، فإن جهود الإمام الصادق عليه السلام الكبيرة وعمله الدؤوب، وتربيته للطلاب والتلامذة، أسهمت في تجذير وتعميق مذهب أهل البيت، وأصبح فيما بعد يسمى (مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام) لإسهاماته الكبيرة في نشر الفقه الإمامي، فقد ورد من الأحاديث والروايات عن الإمام الصادق عليه السلام ما لم يرد عن غيره من الأئمة المعصومين، خصوصاً في الفقه الإسلامي.

فالحرية النسبية التي تمتع بها الإمام الصادق عليه السلام لم تتح لآبائه المعصومين، إذ كان بنو أمية يمارسون أشد حدود الصرامة والشدة ضد مذهب أهل البيت لمنعه من الانتشار والتمدد؛حتى بلغ الحال ببعض الفقهاء إذا أضطر أن يسند الحديث إلى مصدره، فإن كان عن علي يقول: قال: أبو زينب. وبعضهم كان يقول: قال الشيخ ويعني بذلك علياً عليه السلام ولا يجرؤ على ذكره باسمه!.

لكن الحال قد تغير في عهد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حيث تمتع بحرية نسبية ساعدته على نشر الفقه الإمامي، ومنهج أهل البيت عليهم السلام في العقائد والمفاهيم الدينية، وهبَّ إليه طلاب العلم والمعرفة من كل حدب وصوب، ليتتلمذوا عليه، وينهلوا من منهج علمه وفكره، مما ساعد على نشر الفقه الإمامي في مختلف البلدان الإسلامية، بالرغم من أنه لم يُحظ كغيره من المذاهب الإسلامية بالدعم الحكومي، ولعله المذهب الوحيد

الذي انتشر في مختلف الأمصار والمناطق رغم معارضته للدولة الأموية ثم العباسية، ورغم وضع العراقيل والمعوقات أمام انتشاره، إلا أن إرادة الله عز وجل، وجهود الإمام الصادق عليه السلام ومثابرته، أثمرت انتشار مذهب أهل البيت في كل مكان وزمان، ولا زال يزداد انتشاراً ونمواً واتساعاً رغم كل العوائق والمشاكل التي تعترض طريقه، لكن الحق لا يمكن حجبه بأي شيء، وأصبح اليوم مذهب أهل البيت يتبعه ثلث المسلمين على أقل التقادير 1.

_____

1. المصدر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالله اليوسف حفظه الله.